الخلفية الاستشراقية لمنهج النقد التاريخي للنص الديني عند محمد اركون

Fond approche orientalisme à la critique historique de texte religieux a Mohammed Arkoun abstract

أ. خنوس نور الدين
تحت إشراف د. شايف عكاشة
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

الملخص :

إن المناهج الاستشراقية في دراسة النص الديني التي شاعت في أوربا قد وجدت في البيئة العربية من يـــروج لإعـــادة إنتاجها مجددا، تحت مسميات مختلفة ،و لعل الدراسة النقدية التاريخية التي يبشر بها أركون تعتبر احد أهم هذه اللافتـــات التـــي ترفع شعار العلم و الموضوعية لدراسة النص الديني ، نحن في هذا المقال نود ان نبرز مدى الاستجابة الموضـــوعية المنهجيـــة للطرح الاركوني في دراسة القرآن مع بيان لأهم المثالب التي تعتري هذا الطرح و بيان التبعية و الاستشراقية خصوصا في هذا الطرح.

النقد التاريخي للنص:

الاستشراق : دراسة الشرق ،علم الشرق ،اهتمام غربي بالشرق

النص الديني : الآيات القرآنية، القرآن ، التنزيل الالهي

Orientalist approaches in the study of religious texts have found in the Arab environment who reproduce them, and the historic critical study preached by Arkoun might be one of the most important of these signs of a slogan - science and objectivity- in the study of religious texts, in this article we would like to emphasize the magnitude of the reaction and methodologic response and scientific tools in the Qur'an text study by Arcoun with a statement of the main flaws plaguing this argument and statement of its dependence to the and orientalist

Key word

Historical criticism for text means the historical of study that connect text time
Orientalism: Western approach
Religious texts: the Koranic verses

Résume

Les approches orientalismes dans l'étude des textes religieux a été trouvés dans l'environnement arabe quelque un qui reproduire à nouveau, et peut-être l'étude critique historique qui prônée par Arkoun est un signes le plus importants qui soulèvent la bannière de la science et de l'objectivité , pour un 'étude des textes religieux, cet article, nous aimerions faire allusion l'ampleur du l la méthodologique réponse dans le projet d Arcoun dans l'étude Coranique . avec une déclaration des principaux défauts qui sévit cet argument et . et nous aimerions a de montré l'état d dépendance orientaliste

Les mots clé

La critique historique du texte PROJETER que l'étude reliant le texte et détacher a un moment précise, avec une validité concerne cette période uniquement, sans d'autres périodes de l'histoire,cet méthodologie a propose la logique qui annule le Divine Texte avec nu traitement qui d'imposer la du texte de son temps
Orientalisme: approche occidentale concernés d'étudier la science et la culture arabe et islamique pour investit cette idéologie et démolir les fondements de la religion et ses sources avec un influence de tous les croyances sociales pour approfondir et établir la domination politique
Texte religieux: versets coraniques

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مدخل منهجي

إن طبيعة البحث التراثي تستلزم في شقها المنطقي ضرورة استخدام المنهج التاريخي ،في فهم كثير من المسائل التراثية الغامضة، خاصة ذلك الحدث الذي توالت عليه العصور و الأزمنة . فهي إذا ضرورة بحثية تفرضها مسوغات منطقية، ومنهجية ، إذ من الواجب أن يرجع الباحث بمنهجه في مسائل الحاضر والمستقبل إلى ما كان منها غامضا من مسائل الماضي. خصوصا إذا سجلنا في طبيعة الموضوع المدروس السمة التواصلية و الحضور الإستئنافي لمحاوره عبر تجدد المراحل و انتقالات الزمن ، إن–النص المؤسس– عبر لحظات التاريخ المتعاقبة كان هو المتحكم في معطيات الحياة المختلفة، و في الثقافة، و الفكر. حيث يكون النص المحور الذي تدور في فلكه كل النشاطات الإنسانية ، فتعقد به الو لاءات الظاهر منها و الخفي، و تدفع به الخصومات، في مجتمعات يمكن أن نصفها كما وصفها نصر حامد أبو زيد بأنها ""مجتمعات النص(1)، و عليه فإننا ملزمون بأن نرجع بالدراسة في مواضيع التراث إلى الفترات التي شكل الزمن جزءاً من مواضيعها، و إن كانت تشكلت خلاله ، نعني بها الدراسة ذات البعد النقدي التاريخي المغيبة في الفكر الإسلامي ، سواء لأبعاد إيديولوجية كما ذكر أركون، أو لعدم اكتمال النضج المعرفي في هذا الفكر،نقصد بذلك إهمال الحيز" اللا مفكر فيه،"" و"" منظومة الدلالات القبلية المحيطة أو الثانوية"" .

و بما أن المشروع الفكري لأركون حول مسائل التراث يعتبر بحثا في مسائل الماضي من أجل دراسة الحاضر و المستقبل ، فإن استخدامه للنقد التاريخي الخاص بالنص كان يراه ضرورة لابد منها.هذا المشروع الذي يمزج بين المنهج الغربي و المحتوي التراثي المنتمي للفكر الإسلامي ، وما من شك حين نقرأ لأركون ما كتبه حول الفكر الإسلامي إننا سنصل الي نتيجة مفادها إن أركون متأثر في أطروحاته بمناهج المستشرقين ، فالإستشراق حاضر بقوة مفكريه و نصوصه في أعمال أركون خاصة المتعلق فيها بالنص و آليات تأويله ، هذه ليست مصادرة نود إن نجعلها في مقدمة حديثنا ،لكن هي حقيقة لا يمكن تجاهلها،و هي الإطار الذي يسمح لنا بالتفكير و التحليل المصاحب للوعي التاريخي و حتى الإيديولوجي، لقد تعامل مع التراث الذي ينتمي إلي الماضي بمنطق لا يستقيم مع ما يتطلبه هذا الماضي .

و كأن هذا الماضي لا علاقة له بالحاضر ،إلا من خلال الاستذكار و الاستحضار ، و هي نظرة حداثية و تحديثية لا نجدها إلا عند الجيل الثاني من المستشرقين أمثال جورج سيل و هاملتون جب ، وفلها وزن ،و نولدكة خاصة في تعامله مع ما سماه ب– تاريخ القرآن –تعامل معه كما قلنا بذهنية استشراقية محضة، مستخدما في ذلك أدواته و مناهجه، اقصد بذلك أدوات الاستشراق و مناهجه،

""ما من شك إن هناك هيمنة قوية للموروث القديم علي فكرنا، الشيء الذي جعل أدوات إنتاجنا الفكري تخضع،إن قليلا أو كثيرا لهذا الموروث القديم بوصفه بنية عامة سواء سواء أردنا أن نمارس تفكيرا عقلانيا أو لا عقلانيا ، و لكن الممارسة العقلانية أو التفكير العلني تجعل صاحبها يعي أكثر فأكثر هذه الهيمنة و يحاول أن يتحرر منها، هذا شيء طبيعي و لا أحد يستطيع الادعاء أنه تحرر منها نهائيا من الموروث القديم بكل سلبياته و بكل ايجابياته (2")

على الرغم من أنه يعبر عن حسرة ما لاقاه رفضا من طرف قرائه لإنتاجه و لمنهجه خاصة المسلمين منهم فهم المستهدفون بالخطاب قصرا ، معبراً عن ذلك في قوله " كم من مرة قصدت خيراً و نويت تحرير العقل العربي من الثورات الخاطئة و التقليد المدرسي و الشعارات الباطلة، فلقيت الرفض و الهجوم العنيف ضد العلوم و المناهج الغربية البعيدة عن روح العلم الإسلامي(3)، إلا أنه يصر علي استعمال هذه المناهج في قراءة التراث، قراءة على حسبه تجديدية ،هي مناهج كما يراها هو ذاته دخيلة على العلم الإسلامي، لكنه أراد تطويعها، لتخدم مشروعه النقدي للفكر الإسلامي .يستخدمها فقط لأنها ناجحة في نظره، لقد عمد أركون كما المستشرقين من قبله إلى التنقيب و الحفر بمناهج الحاضر في محتويات الماضي. و كان النص أهم ما يواجه هذا المشروع ..حيث كانت محاولات شتى تناولت النص المسيحي و النص التوراتي تناولا نقديا – تاريخيا –،سواء من طرف المستشرقين ،أو من طرف الحداثين الذين يصرون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي إقحام العقل في الدراسة النصية ،فهل استساغ أركون الطريقة التي استخدمت في نقد هذين النصين و القضيتين "الإنجيل التوراة " و أراد تحقيقها و إسقاطها على القرآن – كنص مؤسس للثقافة الإسلامية ؟هل هو مبحث أصيل عند أركون أم استمده ممن كانوا خلفه ممن احترفوا نقد النص الديني ،يهل اطمأن للنتائج المتوصل إليها و التي أسفر عنها هذا النقد ...؟_هل شعر أركون بحاجة الثقافة العربية لهذا النقد التاريخي المقارن ، فأراد إعادة إنتاجه في البيئة الإسلامية؟ و على النصوص المؤسسة للتراث الديني عند المسلمين ؟ _ هل الضرورة المنهجية في التعامل مع التراث تستلزم استعمال النقد التاريخي في قراءة النصوص المقدسة و مقارنتها ؟ كيف تعامل أركون مع الإستشراق في هذا المجال بالذات ؟ فهل اتبعهم في مناهجهم و أدواتهم ؟ هل تقتضي منا الدراسة العلمية للتراث القطيعة مع الدراسة الإستشراقية .؟ هل تجاوز أركون الطرح الإستشراقي بمنطق القطيعة أم تواصل معه بمنطق التوظيف و المرجعية ؟

– –ماذا تستفيد نصوص التراث و الفكر الإسلامي حينما نتعامل معها بمنطق النقد التاريخي المقارن؟ هل يحافظ النص الديني علي قدسيته إذا ما أخضعناه للنقد التاريخي؟ ما علاقة القضايا الإيمانية و الاعتقادية حين إخضاعها لهذا النقد التاريخي؟ و ما النتائج المترتبة من تطبيق هذا المنهج حين التعارض الواقعي مع النصوص ؟

اشكالية النقد التاريخي للنص الديني في الفكر الغربي

لقد ظهرت في أوروبا منذ القرن التاسع عشر كما قد ذكرنا سلفا منهجية تاريخية نقدية متأثرة بالأنوار، اهتمت بدراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد، ولافتراض العلاقة بين القرآن و الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد .اقترح هذا النوع من الإسقاط المفترض انه منهجي، في تصورهم، كان اهتمام أوربا نقد الدين ليس معنى ذلك فلسفة الدين بالمعنى المعروف الآن ،لأنه مبحث لا نريد الخوض فيه، إنما كان مجرد كلام فلسفي عن الدين نتيجة تعارض بين العقل و الدين ، في غير مصلحة مرجوة ،قد أورد هبرماس كلاما . يؤكد هذا المعنى حيث يقول"" لقد ولى زمن التعارض العنيف بين التصورات البيولوجية و الأنتروبولوجية للعالم ،و من مصلحتنا أن نستعيد اليوم مضامين الكتاب المقدس في الإيمان بالعقل أكثر من أن نستعيد مصارعة لبوس رجال الدين الظلامية." إن محتمية الدراسة التاريخية و التعامل النوعي مع النصوص المقدسة بالطرق والمناهج الحديثة أولوية في منهج الفلسفة المعاصرة ،الطامحة إلى فك شفرات الحقيقة في العالم، أما تأويل النصوص و دراستها هي أحد مطامحها و أمالها . وعليه فاستخدام النقد التاريخي للكتاب المقدس في فترة مبكرة من التاريخ الغربي هو أحد سمات الحداثة في هذا الفكر ، و أساس و مقوم ركيز لقيام هذه الحداثة .فالإنسان في الغرب يطرح تساؤلات مشروعة في نظره حول صدقية هذه النصوص و تحقيق مصادريتها، من خلال الاعتماد على التاريخ كطبيعة بحثية، حتى و إن لم يكن ظاهرا للعلن بسبب قدسية النص و تناول الحواشي، و لم يدخل إلى الأغوار،.فالفطرة البشرية تفرض على كل إنسان ذا عقل حالما يتصادف مع نص قديم عنه زمنيا منسوب إلى الآلهة، يتبادر إلى ذهنه هذا التساؤل، ما مدى صدقيه هذا النص .؟

و هل ثمة شواهد تاريخية تثبت صحة نسبتها إلى صاحبها ؟هذا السؤال المنهجي يفترض ضرورة النقد التاريخي للكتاب المقدس، سواء في القرن الثامن عشر أو حتى ازدهاره و تطوره في القرن التاسع عشر، وأصبح طريقا للاقتراب من النص في القرن العشرين ، لقد كان للمجددين في فهم الكتاب المقدس الحجج المقنعة في ضرورة التعامل مع النص بنظرة تاريخية، حيث بدءوا يهتمون بتحقيق مجمل الوثائق القديمة من مخطوطات و كتب ،قصد دراستها و تحقيق مصدريتها، مع بيان انتمائها بالكلية إلى كتاب الوحي الأصليون من الأنبياء ،و بعد هذه المرحلة تأتي مرحلة تالية تهتم بنقد مضامينه الداخلية أو المحتوى الداخلي للنص ،إلى جانب البراهين الخارجية ، و معرفة المصادر التي حصل منها الكتاب على المادة التاريخية و الكتابية .و التاريخ الذي دونت فيه الأسفار.

أسئلة النص عند محمد أركون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هكذا بدأ التعامل مع النصوص المقدسة و هكذا ستحول هذه الروايات الغربية لأنها مجرد طرح نظري بعيد عن تقنية المنهج و آلياته . وهكذا تحولت النظرة في التعامل مع الكتب و النصوص المقدسة و النصوص الأساسية التي تمثل جوهر التراث، و قاعدته، من بيئتها الغربية المحاطة بملابسات شتى ،إلى بيئة أخرى هي البيئة الإسلامية . ،تحولت في نظرنا من دون جسور قارة و ثابتة .

بل تحولت وفق جسور آنية و متحركة، فهل ستؤدي هذه الطريقة إلى نفس النتائج التي وصلت إليها في البيئة الإسلامية و النصوص المنتمية للفكر الإسلامي برمته؟ فهل يا تري من سبب منطقي ينقلنا إلي هذا النوع من الدراسة ،وينقل إلينا هذه المنهجية في التعامل مع النص الديني من البيئة الغربية المأزومة في الفكر و الواقع ،؟ إلي البيئة التي ينتمي إليها الفكر الإسلامي، و هل هي الحاجة الماسة إلي هذا النوع بالذات من الدراسة .فهل النص مرتبط بلحظته التي وجد فيها مرهون بالملابسات التي أحاطت به ؟و هل أحكامه معني بها أهل زمان النص دون الآخرين الذين ناخرو عن فترة نزوله، لان الأحكام تتغير بتغير الزمان ؟

كلها أسئلة طرحت علي أركون و تطرح باستمرار علي من يمثلون الفكر الاسلامى تلح لكي يجيب عنها، وما يمكن إن يشد انتباهنا ابتداء إن أركون أسس لمشروعه الفكري علي ذات القاعدة التي بني المستشرقون عليها فكرهم و أرسو عليها مشروعهم .

اختار المناهج الاستشراقية في دراسة النص متأثرا بما حققته هذه المناهج في بيئتها، من خلال ما رآه من ""إنتاج المستشرقين"" كما سماه مالك بن نبي ،لكنه اختار أهم بؤر الصراع التي احتدمت في الفكر الإسلامي واختار منها قضايا التأويل في النص الديني ،أو قراءة النص التأسيسي، في زمن يرى كثيرون أنه لم يحن بعد ليتناول المسلمون مثل هذه المسائل، خاصة حينما يتعلق الأمر بالسبيل الذي ينتهجه المفكر المنتمي إلى الثقافة العربية الإسلامية في التعامل مع النص القرآني ،– موضوع المناهج الحديثة و علاقتها بالنص المؤسس،– كما يصفها محمد اركون ، فتغافل بذلك عن طبيعة الفكر الإسلامي و تجاهل تفرده عن ما غيره من أنواع الفكر الأخرى علي الرغم من إن أركون ينتقد المستشرقين و توهماتهم من حيث المحتوي و المضامين، و عدم اعتمادهم علي المناهج الحديثة،

المنهج و خطوط الالتقاء أن المقاربة الوضعية تبقي قاسما مشتركا بين أعمال أركون، و أعمال المستشرقين.ولم يكن انتقاده لهم إلا من قبيل "المراوغة الفكرية" .

إن المستشرقين و من خلفهم أركون تعاملوا مع القرآن الكريم كما تعاملوا مع الكتاب المقدس و كتبهم الدينية ،فكما بحثوا في كتبهم التحريف الذي طرأ على العهد القديم و الجديد لدى اليهود و النصارى بحثوا في القرآن عن التحريف المفترض في عقولهم ، و كما تناولوا الأساطير في كتبهم تناولوا ما سموه أساطير في القرآن ((فهم ينظرون إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد .باعتباره وثيقة تاريخية و هي نتاج مراحل تاريخية معينة . يخضع للنقاش و النقد مثل الوثائق الأخرى القديمة و الحديثة.يقول فرانسوا ديبلوا "" لقد كانت في القرن التاسع عشر دراسة الكتاب المقدس قد أصبحت علما قائما بذاته لا علاقة له تقريبا بمشاعر الناس الدينية مثل التاريخ الإغريقي القديم (4) أي ان ثقل الهالة القداسية التي كانت تصاحب مشاعر الناس بدأت في الاختفاء شيئا فشيئا و بالتالي تشكلت ملامح علم لا يعترف بالعلاقة التكريمية التي يحملها عقل الإنسان المؤمن و قلبه اتجاه هذا النص، انطلاقا من مبدأ الوضعية و الموضوعية .

و عليه هي منهجية استجلبها المستشرقون الذين تحولوا من دراسة التوراة و الإنجيل إلى دراسة القرآن الكريم، فأكثرهم قساوسة و رجال دين تربوا في الأديرة و الكنائس .و ذلك بالاعتماد على فقه اللغة المقارن أو التحليل التاريخي المقارن للغة، فهو المنهج الذي اعتمد وعليه من خلال دراسة النصوص المكتوبة ، و محاولة اكتشاف عناصر التشابه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بين لغة و لغة أخرى، و من ثم دراسة و ملاحظة التغيرات التي تطرأ علي اللغة ،و مقارنة التغيرات التاريخية بين اللغات المتشابهة،كأن تقارن النصوص العربية و النصوص في اللغات السامية الأخري، و كانت البدايات مع أركون كما يصفها أركون نفسه..

"" بان نقطة البداية كانت باطلاعي على كتابات دانيال روس عن الأناجيل فقال ""ألا يمكن أن نفعل شيئا مشابها فيما يخص القرآن، و ما هي النتيجة التي سنتوصل إليها . إذا ما قارنا بين الإنجيل و القرآن بهذه الطريقة، هذه نقطة البداية و هذا ما غذى فضولي المعرفي و على هذا النحو ابتدأت العمل في مجال القرآن""(5) بل بالخصوص هنا في هذا المجال عند أركون فإن مدى التأثر كان محصورا في العمل المنهجي، لأنه أقرب إلى الاهتمام ، فكليهما في نظره نص يسمى بالنص المقدس ، و بالتالي لابد من تطبيق هذه المناهج الحديثة التي يسميها أركون المناهج العلمية الحديثة مع التركيز على الصفة العلمية، حتى و إن لم تكن فيما تعلق بالمحتوى فليس على الأقل أن توصف كذلك في نظره .

و يحدد أركون الضرورة إلى هذا المنهج فقط لنجاحه في بيئته الأصلية يقول أركون ""إن البروفيسور فان ايس قد أتقن المنهجية الفيلولوجية كل الإتقان، بل أحدث ثورة فيها من خلال تطبيقها على التراث الإسلامي ،يقول ذلك و نحن نعلم أن هذه المنهجية كانت قد استخدمت في تحقيق النصوص الدينية المسيحية منذ عصر النهضة في أوربا .

لهذا السبب فان أرخنه معرفتنا للماضي وإسباغ الصبغة التاريخية عليها، كانت قد فرضت نفسها بصفتها عملا حاسما. من الأعمال التي دشنتها الحداثة .

إنها تشكل أحد المكتسبات الأساسية للفكر الحديث (أو النقد الحديث). و لكن هذا المكتسب العلمي الذي حققته الحداثة لا يزال يشكل اللا مفكر فيه بالنسبة للفكر الإسلامي (6) "".

أقصد الفكر كما يمارسه علماء الدين المسلمون في وقتنا الحاضر"" ،وعليه فاستخدام المنهج التاريخي في نقد النصوص أو ما يسميها أركون التاريخية عمل منهجي لا بد منه ، ""عملي يقوم على إخضاع القرآن لمحك النقد التاريخي المقارن.على طريقة بوركهارت""أصبحنا لا نفهم أيا من شؤون الماضي،كلمة، فكرة ،حكم ،نضام سلوك ...الخ إلا إذا عدنا بذهننا إلى ظروف نشأته"" ، إذن يتخذ من هذا المنهج دراسة الحوادث التاريخية و الاجتماعية و السياسية كوسيلة لتفسير النص و تأويله، و تعليل ظواهره وخصائصه، و يركز على تحقيق النصوص كما قلنا وتوثيقها.

و قراءتها بربطها بزمانها و مكانها ،و حتى شخصياتها، إذا كان متعلقا بها. و من ثمة فالتاريخ يكون هنا خادما للنص ،و قد استمدوا هذه الخصائص في النقد التاريخي من المنهج التاريخي ذاته، الذي أسس له سانت بوف في الأدب و صاحب الثلاثية (الجنس و البيئة والزمن) " تين " و كذلك برونتز في دراسته للأجناس الأدبية، لتتحول عند أركون إلى منهج في مقارباته للنصوص المقدسة .

تلازمية النص و التاريخ عند أركون

لقد بدأ التبشير بعالمية هذا المنهج التاريخي في دراسة معطيات الفكر الإسلامي مبكرا مع أركون ،

و كأنه الحجر الأساس في فكره و مشروعه الذي يدعوا له ،إذ لابد من اعتماد ما يسمى بالمنهجية التاريخية قصد فتح آفاق متعددة، لنفهم من خلالها ما يسمى بالدين، على اختلاف بين الناس حول مضمونها و إيحاءاتها ، إن الدين أو الإسلام بالخصوص لابد من إعادة قراء ته و قراءة زمنه أو لحظته الزمنية المرتبطة به، دون تدخل أي من قوى غيبية نتوهمها .

يقول أركون (..إ ن التاريخية ليست مجرد لعبة ابتكرها الغربيون من أجل الغربيين،و إنما هي شيء يخص الشرط البشري منذ أن ظهر الجنس البشري على وجه الأرض، ولا توجد طريقة أخرى لتفسير أي نوع من أنواع ما ندعوه بالوحي ،أو أي مستوى من مستوياته خارج تاريخية الثقافة ،و تطوره أو نموه عبر التاريخ ،ثم المتغيرات التي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تطرأ عليه تحت ضغط التاريخ .(7) هو الدين إذا و هو النص المعبر عنه،المخصوص بهذه الدراسة التاريخية،""و لكن ظاهرة إن الخطاب القرآني قد استطاع بهذه الطريقة و لا يزال خلع القدسية و التعالي علي التاريخ البشري الأكثر مادية و دنيوية و الأكثر عادية و شيوعا ، ينبغي إن لا تنسينا تلك الآلية و الاعتباطية الجذرية للأحداث""(8) فالدين بهذا المعني نص في لحظات تاريخية تخصه هو دون غيره، وارتباط التاريخية عند أركون بالظاهرة الدينية له دلالا ته ليس أقلها ارتباطها النص الديني أي القرآن. بالتاريخ أي ارتباط النص بالتاريخ .

فيخضع النص الديني باعتباره ظاهرة باللحظة الزمنية ،ليصبح النص متعلقا بالتاريخ ، ويخضع بعدها للتفسير و التأويل .انطلاقا من التعدد اللحظي ثم بعدها تعدد المعاني .

الذي يعتبر نتيجة حتمية لمقدمات المشروع الأركوني في التعامل مع النص ""حيث يعتبر الغرض من ذلك إيقاف أي استعمال نفعي و مصلحي وزمني للنص الديني ،و كل نقد تاريخي إنما يتلخص غرضه في ""تحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس(9).

ما يعني أن الباحث محتم عليه أن ينتقل من التاريخ الذي يروي الأحداث المصاحب للايدولوجيا المتعلقة بالظاهرة ، إلي التاريخ الذي يفرض طابعا نقديا.

بحيث"" لا يقتصر لفظ التاريخية علي الإشارة إلي اعتماد الإنسان علي التاريخ في فهم ذاته و تأويلها و إلي تناهيه الإبداعي في تحديد ماهيته تاريخيا بل يشير أيضا إلي استحالة الفكاك من التاريخ و إلي المفهومائية الضميمة لكل فهم "" (10)و هو ما يفرض مشكلة إعادة القراء و الفهم. قراءة النص من منطلق انه نص غارق في التاريخ ،يحتم استخدام نقد تاريخي مؤسس .يقول أركون ""يمكن أن نفهم تبعا لذلك لماذا القرآن و التاريخية يشكلان بالنسبة للفكر الإسلامي نقطة الانطلاق الإجبارية من أجل الافتتاح المنهجي للعقلية العلمية ...أن تأمل التاريخية أو التفكير فيها من خلال الظاهرة القرآنية و مجموعة الظروف التاريخية و المواقف الثقافية التي تميز الإسلام عمل يأخذ عندئذ أهمية قصوى تدشينية ""(11);

"" و علي الرغم من إننا نجد بصمات فيلسوف التأويلية غادايمر في قراءته للنص الديني و تأويليته التاريخية إلا أننا نجد لا يمكن أن نجزم بحجم التأثير المسلط علي أركون علي الرغم إن غادايمر يبرز الفرق بين التاريخية الساذجة التي تريد العودة إلي الماضي بالتخلي عن اللحظة الزمنية للوعي، و الوعي التاريخي الذي يسلم هذه القراءة التراثية إلي مجموعة عناصر أهمها الحكم المسبق المسافة الزمنية و فهم المؤلف التي تعني عدم الرجوع إلي ذاتية المؤلف أو حتى الرجوع إلي ذاتية القارئ بل إلي مرجعية النص

""يقول غادايمر إن التأويل الذاتي للفرد هو مجرد رجة في التيار المغلق للحياة التاريخية لهذا السبب فان الأحكام المسبقة للفرد هي أكثر من مجرد أحكام له إنها الواقع التاريخي لوجوده"" (12)

فالقرآن في تصور أركون واقعة تاريخية حدثت ،حدثت كتجربة تاريخية، مقتبسا ذلك من تأويلية بول ريكور"" فتجربتي لا يمكن إن تصير مباشرة تجربتك ""و أي حادثة حدثت في ذهن إنسان لا يمكن إن تعود لتزهر في ذهن إنسان آخر، و إنما الذي ينتقل هو معني هذه الواقعة أو تلك ، و بتعبير أركون ""إن الذي انتقل إلينا معني الوحي و ليس و واقعته "".فالنص استخدام لبنى لغوية و أسلوبية متصلة بالعصر الذي دونت فيه .لذلك يري أركون أنه يجب أن نضع ثمة فرق بين القرآن ساعة نزول الوحي على النبي، و القرآن الذي جمعه الصحابة،أي النص المنزل و النص المكتوب،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبما أن النص ساعة النزول انتهى مع وفاة الرسول فإن المصحف الذي خلفه الصحابة لا يتمتع بذات الحقيقة المفترضة و القدسية المصاحبة للنص ،هذه القدسية التي كانت أول مرة ، ساعة أول نزوله ،انه يرجع بفرضيات كثيرة .أقلها درجة في القبول أن هذا النص المكتوب لا يؤمن عليه من ألزيد و التحريف .

و حتى يتسنى لنا قراءته يتوجب علينا إعادة قراءته ،على أنه نص أحاطت به ملابسات شتي، وظروف اجتماعية و تاريخية و حتى سياسية ساهمت في إنتاجه بهذا الشكل دون غيره .

ساهمت في إنتاجه حتى البيئة الجغرافية و الطبيعية و البشرية و تنظيماتها القبلية و العشائرية. التي تكونت في شبه الجزيرة العربية .

هو نص تاريخي إذا مثقل أو مشبع بالإيماءات التي ليست منه، –علينا أن نعود به إلي الحياة –كما ذكر ذلك دالتاي (13)– يختلف كما ذكرنا عن النص أو الوحي الكلامي أول مرة . فهو نص غير مقدس بتعبير أركون .

" و يمكنني أن أقول بان المقدس الذي نعيشه عليه أو معه اليوم لا علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب وقت نزول الوحي" لابد أن نعيد التفكير في النصوص المقدسة ،فحتى القرآن لا يجب آن يسلم في تصور أركون من إعادة القراءة وفق منهجية النقد التاريخي يقول مستطردا ""لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموما بالقرآن إن هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حد بالعمل اللاهوتي و الممارسة الطقسية الشعائرية الإسلامية منذ مئات السنين إلى درجة أن يصعب استخدامها كما هي فهي تحتاج إلى تفكير سابق من أجل الكشف عن مستوياتها .

من المعنى والدلالة . كانت قد طمست . و كتبت و نسيت من قبل التراث التقوى الورع . كما من قبل المنهجية الفيلولوجية اللغوية النهائية أو المعرفة في التزامها بحرفية النص (14) و عليه ينبغي أن يستفيق المسلمون و إن يصححوا منهجياتهم في التعامل مع النص مستبصرين بمنهجية النقد التاريخي ،هذه المنهجية التي يري أركون إنها تقوم إن مصطلح التاريخية يتعلق بصياغة علمية مستخدمة خصوصا من قبل الفلاسفة و الوجوديين للتحدث عن الامتياز الخاص الذي يمتلكه الإنسان في إنتاج سلسلة من الأحداث و المؤسسات و الأشياء الثقافية التي تشكل بمجموعها مصير البشرية (15)

لا يتأتي ذلك إلا بفتح الأفاق كي يتناول النص المقدس بالدراسة التي تستند إلى المعطى التاريخي ملتفتة إلي المعطي الإنساني لتجعله بدل"" الله"" محور و جوهر الخطاب القرآني ، إن المهمة الحداثية"" للتاريخية "" إن تجعل من القراءة التاريخية للنصوص"" علما بهذه النصوص"" ، يقول أركون إن مصطلح التاريخية يتعلق بصياغة علمية، مستخدمة خصوصًا من قبل الفلاسفة الوجوديين للتحدث عن الامتياز الخاص الذي يمتلكه الإنسان في إنتاج سلسلة من الأحداث والمؤسسات والأشياء الثقافية التي تشكل بمجموعها مصير البشرية" (16)و كأنها منهجية جديدة تحاكي دالتاي حينما يري انه ليس من خلال الاستبطان بل من خلال التاريخ وحده يتأتي لنا ان نفهم أنفسنا """التوسير في قراءته العلمية للمبادئ الاشتراكية ، منهجية تتجاوز كما يقولون الاطروحات القديمة للفكر الديني التي تجعل من الله بزعمهم محور اهتمام هذه النصوص و تحول هذه القراءة إلي الإنسان ليصبح جوهر اهتماماتها ،الإنسان بكل ما يحيط به من واقع اجتماعي تاريخي .

لكننا نلمس من ذلك ذاتية مفرطة في استخدام هذا المنهج .إن هذا المنهج التاريخي الذي يحاول أركون أن يستظل به من اجل الدراسة الموضوعية لمسائل التراث.

هو في الأساس منهج يعتمد التاريخ أساسا للدراسة لكن التساؤل المشروع الذي يطرح نفسه ما مدى التوسع في هذا المنهج و مراحله ليستقيم مع ما يريده أركون من النقد .فإذا كانت الخطوات الأولى اجتهاد نحو الموضوعية فالخطوات اللاحقة في هذا المنهج نراها تتعلق بمسائل لها ارتباط بالذات أساسا ،و من غير الممكن أن تكون مستقلة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأن الذات موضوعا الدراسة و هي القائم بالبحث في الوقت نفسه .وعليه ففيما يتوسم أركون إن تتجلي له صور الموضوعية المنشودة، خاصة وان محتوى دارسة ظاهرة الدينية .

أو حتى بصورة أبلغ الظاهرة القرآنية الذي يفترض في دراسته ان يكون بعيدا عن الايدولوجيا حيث نجدها تتعلق بمضامين المؤول و اتجاهاته و أفكاره المسبقة التي يحملها حول النص .و من غير المنطقي ان يبشرنا أركون بهذه المضامين اللامنتمية لثقافة و روح الفكر الإسلامي وهو يعرف إنها غارقة في الايدولوجيا ،و لم تسلم هذه المرحلة من تدخل الذات . إن أركون يدرك كيف أن الاستشراق درس باللغة التاريخية التي يتصورها ، لكنه لم يثبت لذلك موضوعية ""إن الدراسة و التحليل لا يمكن أن تكون مستقلة عن الذات و بالنسبة للإستشراق فالأمر واضح إذا كان لابد أن ينخفض من ألمفهومي إلى النفعي و من العلمي إلى الاستغلالي و الإرتهاني (17) ، هي عملية صعبة يصفها أركون لا يمكن أن تسلم من الحيف أو الجور العلمي، و التجني على الحقيقة التاريخية كما يصفها أركون ذاته يقول (فالتاريخية تعتبر رهان كبير و خطيرا لأنها تخص بنية الحقيقة المطلقة ذاتها كما تخص الشروط أو الظروف السياسية و الثقافية لإنتاجها و بلورتها ولا نريد إدماجها في فكر و سلوك كل مؤمن ،هذا يعني أن كل المجتمع يصوغ الوجه المتغير بالضرورة الحقيقية) (18)،فمجرد التوقف علي هذه المقولة يتكشف لنا ان التاريخية سعي لأدراك الحقيقة المطلقة و الثابتة، الحقيقة التي لا تقبل إلا وجها واحدا من التأويل و القراءة, لتصبح المرجع و الإطار النظري لمنظومة الأفكار التي يستند عليها الإفراد في سلوكياتهم مستأنسين بمؤثرات الثقافة السائدة ،التي تنص علي دور اللحظة الزمنية في فهم النص.

لقد ألح دالتاي علي ""إن التاريخ ليس شيئا ماضيا يقف بإزائنا بصفته موضوعا و لا التاريخية عنده تشير إلي تلك الحقيقة الواضحة موضوعيا للجميع و هي إن الإنسان يولد و يعيش و يموت في مسار الزمن إنها تشير... إلي اعتماد الإنسان علي التاريخ لفهم ذاته و تأويلها و إلي تناهيه الإبداعي في تحديد ماهيته تاريخيا بل يشير أيضا إلي استحالة الفكاك من التاريخ و إلي الزمنية الصميمة لكل فهم "" (19) للشروط ذاتها التي يفترضها أركون في كل دراسة نقدية للنص،تستند علي ما يقوله أركون ""انه لا يمكن تحقيق أي تقدم في مسالة تاريخية القرآن و التاريخية طبقا للقرآن إلا إذا وضحنا

مبدئيا المفهومات المفتاحية الثلاثة التالية

1- مفهوم الدوغمائية و كيفية اشتغال الروح الدوغمائية

2 – مسالة المرور من مرحلة الفكر الأسطوري إلي الفكر التاريخي الايجابي الواقعي

3- فلسفة اللغة ""(20)

إلا إننا نراها شروطا نظرية للدراسة، بعيدة عن شروط الموضوعية المنشودة ، لقد سعى المستشرقين و حتى رواد الحداثة سلب المشروعية عن الكنيسة فانتهى بهم الأمر إلى غلبة مفهوم تاريخية الأفكار التي تدعو إلي خضوعها للمنطق و للمكان و الزمان و هي نفس الفكرة التي تدعو إلى ربط النص الديني عند أركون بالبيئة الجغرافية و البشرية لشبه الجزيرة العربية، فتصبح المعاني خاضعة لشروط الجغرافية و القبيلة و السياسية و المجتمع التي صاحبت وقت التنزيل فتصبح دلالات الألفاظ مرتبطة بالتنزيل و تختفي الحقيقة بتعدد المعاني بحسب أركون ""تتجدد المعايير و القيم ""(21) فأين هي الحقيقة المطلقة التي يبحث عنها أركون في خضم غلبة البيئة ودورها في إنتاج المعني ،ليست الحقيقة المطلقة المنشودة نتاج شروط بيئة أو ظروف جغرافية و الا فقدت مطلقتيها التي تتصف بها ، مهما برر أركون بقوله "" إن القرآن عبارة عن مجموعة من الدلالات الاجتماعية المقترحة على البشر و بالتالي فهي مؤهلة لأن تثير و تنتج خطوطا و اتجاهات عقائدية متنوعة بقدر تنوع الأوضاع و الأحوال التاريخية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي يحصل فيها أو تتولد فيها، فهو نص مفتوح لا نهاية له و لا يمكن لأي تأويلا و تفسير أن يغلقه و يدعي الحقيقة فيه (22) .

تتضح مع أركون الدعوة إلي فتح الآفاق واسعة أمام التفسير لتتولد المعاني و تتعدد التفاسير،لكن كيف تستقيم هذه الحقيقة المطلقة و الثابتة و نحن مسلمون تماما ابتداء بمبدأ تعدد المعاني الذي ينسجم مع طرح تعدد القراءات. فاين تعدد المعاني من الحقيقة المطلقة، يفقد هذا الطرح بالتأكيد من خلال فكرة تعدد المعاني النص قداسته ، وتكثر التأآويل ،ليصبح النص القرآني مثله مثل أي نص آخر تتعدد معانيه و تضيع الحقيقة في دهاليز ""موت المؤلف"" التي يريد أن يصل لها أركون متقاطعا مع النظرة العلمانية، التي تدعو إلي نزع القداسة عن الماضي. تلك القداسة التي يري نصر حامد أبو زيد إنها فكرة تسيطر علي الفكر الديني ،حيث انه ""نص متجاوز لواقعه الذي تشكل فيه اذ الحل يكمن في التخلص من هذه القداسة،و إحلال النظرة التاريخية في التعامل مع التشريعات و العقائد التي تضمنها ""(23) "حيث يري فهمي جدعان ""إن العلاقة بين التراث و بين المقدس علاقة مصطنعة تماما لكن لابد انه ثمة سببا لدخول المقدس إلي التراث ""يتلخص في التوهم إنهما واحد في حين ""ان القرآن ليس هو علوم القرآن ، لان علوم القرآن،أو أصول الدين أو اللغة أو أصول الفقه ليست هي الدين نفسه ،فهذه العلوم جميعا لا استثناء لواحد منها –هي كلام تاريخي علي الدين و على الوحي و هي بهذا الاعتبار تاريخية إنسانية ""(24)" إن توظيف علوم القرآن لتأكيد و تكريس واقعية القرآن ليس أمرا مرفوضا و لكن الواقعية التي يريدها الخطاب العلماني ليست هي الواقعية القرآنية ،و إنما الواقعية العلمانية التي ترفض في حقيقة الأمر الانضواء تحت أي نص، أو الرضوخ لأي مقدس لان هدفها هو التحرر من سلطة النصوص، لان قال الله و قال الرسول ليس بحجة ، و انظر إلا ما قاله الدكتور محمد احمد خلف الله هنا فان الصدام في أوج الاحتدام بين الواقعية القرآنية و الواقعية العلمانية ،لان كلا منهما تريد إن تكون الهيمنة لها و السيادة و الحاكمية بيدها. ""(25)

إن النص في التاريخ معطى واقعي و منطقي لا يمكن تجاوزه لمبررات تفرض نفسها سواء عند الأطروحات الاركونية أو حتى الرؤى التي تري في النص حلولا لمشاكل الحاضر وقد أكد علي ذلك غادايمر قبل أركون ""إن أي إنسان يجرد نفسه من امتلاك الأفق التاريخي المحدد للأصل الذي يتكلم منه التراث يسيء في الواقع فهم دلالات المضامين التي ينقلها ذلك التراث ""(26) و اعتبر إن من نتائج الدراسة التاريخية هي إعادة السياق التاريخي للنص ،أو بل الأحرى إعادة النص إلي سياقه التاريخي و مع ما في الصياغتين من اختلاف إلا أنهما تؤديان نفس الدور المنوط بهما وليس ذلك فحسب بل كذلك جعل هذا السياق يجيب علي كثير من أسئلة الحاضر.

لكن المشكلة التي تطرح نفسها إن مع غادايمر كان المقصود النصوص الأدبية البشرية فحسب لأنه ميز النصوص بأنها نصوص لا تفهم إلا بأنها تلك التي تجيب علي مشكلة وجود الله، لكن مع أركون يتغير الموضوع و يصبح المستهدف بان لا يخرج القول عن فكرة وحيدة هي ترسيخ القول بتاريخية الفكر الإسلامي بما في ذلك الوحي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن عدد من المفكرين يرفض إدخال الوحي ضمن مكونات الفكر لأنه ليس فكر بكل ما في الكلمة من معنى ولأن مصدره غير إنساني، وحتى أركون نفسه لم يلجأ إلى القول بتاريخية الفكر الإسلامي إلا للتواري بعض الشيء مما يمكن أن يجرّه عليه التصريح بتاريخية النص أو الوحي، لأنه يعلم ألا أحد سيختلف معه في أن ما أنتجه المسلمون من أفكار مجرد اجتهادات مرتبطة بحدود الزمان والمكان، أما الوحي فشيء آخر، وبالرجوع إلى كتاباته في لغتها الأصلية أي الفرنسية نجده أكثر جرأة، لأن جوهر هذه الفكرة مقبول في الغرب بخلاف الشرق.

على اعتبار أن محمد أركون لم يكن يبني ذاتا تعتقد بالتاريخية من داخل التراث العربي ولأجل التراث العربي، بل على العكس من ذلك تماما، لقد كان من ألذ أعداء "الخصوصية" لا يتعرف بخصوصية الفكر الإسلامي، ولا بخصوصية الفكر العربي، لأنه يدرك جيدا أن الاعتراف بالخصوصية سيفرغ مشروعه من محتواه، لأن البناء النظري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يقوم عليه، عماده مفاهيم نحتت في سياق مختلف، والحديث عن الخصوصية يلغي كونية فكر الأنوار التي ظل يدافع عنها أكثر من نصف قرن، ولعل أكبر مأخذ يؤاخذ عليه هو ازدواجية التعامل مع الفكر عموما، إذ في الوقت الذي اعتبر فيه أن الفكر الإسلامي تاريخي بما في ذلك الوحي، وحال بشتى الوسائل ربطه بسياقه التاريخي والجغرافي، بذل أكثر من وسعه لينزع صفة التاريخية عن فكر الأنوار وجعله فوق التاريخ وفوق الجغرافية.

إن لدعوى تاريخية النصوص التي يتكلم عنها أركون بهذا المعني ما يؤنسها في أطروحات الدكتور خلف الله يقول الدكتور خلف الله ""إن الصنيع البلاغي للقرآن الذي يقوم علي تخليص العناصر القصصية من أحداث و أشخاص و أخبار من معانيها التاريخية و جعلها صالحة كل الصلاحية لاستثارة العواطف و الانفعالات حتى تكون العظة و العبرة و تكون البشارة و الإنذار و التمكين وتكون الهداية و الإرشاد ويكون الدفاع عن الدعوة الإسلامية و التمكين لها حتى في نفوس المعارضة – إن هذا كله لهو الدليل القوي علي إن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المساءل التاريخية ""(27)و ""و لاحظت أن القرآن لم يقصد إلي التاريخ من حيث هو تاريخ إلا في النادر الذي لا حكم له و انه علي العكس من ذلك عمد إلي إبهام المقومات التاريخ من زمان و مكان و من هنا تبين إن القوم قد عكسوا القضية حيث شغلوا نفسهم بالبحث عن مقومات التاريخ و هي غير مقصودة و أهملوا المقاصد الحقيقية للقصص القرآني""(28) لهذه الدعوي ما يؤنسها أيضا في أطروحات روجيه غارودي حينما انتقد المعارضين لتاريخية النص، وأعتبر أن ارتباط النص المقدس باللحظة التاريخية ليس معيبا .

فوقتية الأحكام لجواب عيني على مسائل ،لا تلغى استمرار القدوة أي أن الأحكام القرآنية كانت إجابات عينية على مسائل طرحت . و إن وقتيتها لا تنفى ""الإطلاق" من منطق أن القول بأزلية النص

إنما هي دعوى تتنافى مع معطيات العقل و المنطق، لأن النص ارتبط بأحداث . وقعت مع حياة الرسول و أن تلك الأحداث التي وقعت . لا تفهم إلا في ضوء تاريخية النص . و في ضوء السياقات إلتي تشكيل دورا مهما في بلورتها(29) و نحن نتفق مع هذا الطرح من زاويتين :

أما منطقيا: فلان النص كما يقول أركون حصل في الزمان المحدد، فهو إذا خاضع له ،أي خاضع للحظة التي تكلم بها و بالتالي لابد من دراسته بناء على لحظته أو بمقتضى حضور النص فيها –

–**أما واقعيا:** فلان النص أرتبط بأحداث ووقائع أمليتا هذا النص، كالحديث عن غزوة احد و حديث الأسرى في سورة الأنفال وما تعلق بالفيء و غيرها من الحوادث الواقعية .و منه فالتاريخية ،منظومة نسقيه تنطلق من أن معطى الحقيقة معطى يتبلور بفعل التاريخ، و يتصف بصفات الظاهرة التاريخية ،و ما تنطوي عليه من خصائص تتعلق أساسا بالظاهرة التاريخية ونخص بالذكر "" النسبية"" "" والزمنية :""

إما النسبية: تعني أن الحادثة التاريخية ليست مطلقة في الزمان و المكان .و إنما تحدها معاني النسبية .

أما الزمنية : فهي جوهر التاريخ ،و جوهر الحادثة التاريخية،فاللحظة الزمنية لحظة فارقة في الحادثة التاريخية و بتغير الزمن تتغير الحادثة إلى أخرى أو تتطور و تنفض عن نفسها كل السياقات التي كانت تحملها معها وفيها اللحظة الزمنية الأولى .

وبالتالي فهل يعني ذلك إن هذه النسبية تمس النصوص،لا شك أن أركون متيقن من أن هذه المناهج نسبية في نتائجها و ربما هذا ما يؤكده المستشرق روزنتال.""و من المزالق التي يندر إن يتحاشاها الباحثون الغربيون عند تقديرهم البحث العلمي عند المسلمين أنهم يضعون مقاييس صارمة يحكمون بموجبها على ما أنتجه الفكر الإسلامي مقاييس أشد صرامة من تلك التي نطبقها على دواتنا نحن الغربيين"" (30)بل حتى الوقائع التاريخية التي ينتقيها من خلال دراستها كظروف و ملابسات للنص نسبية أيضا ""فكل ما هو تاريخي هو نسبي، إذ عندما نجمعه في عقولنا يبدوا كأنه يميل إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانحلال و الشك و الذاتية العاجزة تشكل هذه الفترة مشكلة معينة لأن ماهر نسبي ،يجب أن يتعلق تعلقا أكثر عمقا بما هو صالح كونيا .

لذا علينا أن نعني ما تلمح إليه نسبية كل الوقائع التاريخية ""(31)

فهل تعني نسبية الوقائع التاريخية نسبية النص المؤسس و الموجه لها،إن هذا الاستخدام السيئ للتاريخية و علاقتها بالنص هو تضخيم للتاريخ على حساب الحقيقة المطلقة .

و من باب أولى تصحيح النظرة الإستشراقية للتاريخ لا أن ننساق وراءها ،بل يجب أن نحكم على التاريخ من خلال النص لا العكس ، ولنساءل أركون عن مسألة النسبي و المطلق .فهل تطبيقات أركون التاريخية .

تعترف بأن في النصوص المقدسة "" ما هو نسبي و ما هو مطلق في أحكامه"" . فأين ندرج آيات تتحدث عن – العقائد و مسائل الإلوهية و النبوة و الرسالة و الغيب و الحساب –وأي نسبية يراها أركون في قوله تعالي "ا ففي الله شك فاطر السموات و الأرض" فهي آيات لا يمكن القول فيها بشيء غير التسليم .

وهي مسائل مطلقة ، إن النقد التاريخي للنص الديني أو التاريخية التي ينفر الناس لها فيما تعلق بالمطلق من النصوص لا يمكن أن ستقيم مع هذا الطرح .ولا تقبل أكثر من دلالة واحدة لأنها من أصول الاعتقاد و من ثوابت الشريعة ، هذه التريخانية كبلت ذلك العقل لأنها مشدودة إلى لحظة دهريه إلى شرط تاريخي ،تتحرك بحركته و"" لم تقد المستشرقين إلى نتائج مرضية و كان استعمالها من قبل المستشرقين أدى إلى الوصول إلى نتائج لا تتفق و حقيقة العلمية المجردة مثل منهج النقد التاريخي (32) فلماذا يعيد أركون تطبيقها أن تثبت عقمها في مهدها و بيئتها ،و في محتوى يتلاءم و هذه المناهج التي ابتدعت له أصلا .

"" أن المنهج التاريخي قد أستخدم في أوربا لدراسة المسيحية (لأنها نشأت في بيئة دينية و دخلت لمؤثرات الخارجية كالبابلية و الأشورية و الغنوصية على نصها الدينين، و عندما يطبق المستشرق هذا المنهج على الظواهر الفكرية الإسلامية التي في حقيقتها مثالية و ليست مادية و ليست موضوعات فكرية مستقلة .

و ليست موضوعات تاريخية فتكون النتائج العلمية ليست صحيحة عند تطبيق هذا المنهج على الدراسات الإسلامية (33) و من هنا يتبدى لنا الانحراف المنهجي لأركون في كونه عمم نظريته في فهم النص التي بناها علي فهم تاريخي خاطئ و نظري مجرد لم يمارسه أصلا إنما يكتفي بان يدعو الناس له و هو غير متيقن من كفايته ""إن الخطوط القوية التي تشكل هذه الملحمة أو هذا النسيج تمثل فعلا حقائق واقعية كان المؤرخ قد أهملها زمنا طويلا ..

إن كل ما قلناه آنفا باختصار شديد حول الروح الدوغمائية و الفكر الأسطوري و فلسفة اللغة لم يحظ حتي الآن إلا بدراسات معزولة و عديمة الصلة في كل الأحوال بمفهومات أساسية كمفهوم الابستيمي ..."(34) ، لا يرا عي قيمة النص و لا يري فيه صلاحية الاستخدام ، إن العلمانيون العرب يخطئون أيما خطأ حينما لا يرعون للنص القرآني أي قيمة ، إن ادعاء تاريخية النصوص لا يعني غير أن هذه النصوص لم تعد لتواكب العصر الذي نعيش فيه صرح بذلك علانية أو لم يفصح عنه ،لان الإيمان بمقدمات المستشرقين لا يمكن إن يفضي إلا إلي نتائجهم التي وصلوا إليها ،فقول أركون بالتاريخية يعني تأويلا إن النص القرآني ارتبط بفترة زمنية معينة ،لا يمكنه أن يتعداها إلي غيرها و لم تعد صالحة للمكان و لا للزمان، مستشهدا بنتائج الاستشراق و قراءة للنصوص التوراتية و النصرانية التي كتبت بعد نزول الوحي بعشرات السنين ، والتي استنتجوا إن في صميمها تناقضات لا تعبر عن إلهيتها أو حتي تعاليها و قدسيتها، غير أن نسخ هذا الاستنتاج من طرف محمد أركون من دون مبررات مقنعة لا يوجد ما يبرره ،و لنضرب مثلا: فالشريعة كلياتها مقصديه ،و أصولها ثابتة ، لكن أحكامها المتعلقة بالمعاملات قد تتغير بتغير الزمان، و قد تصبح تاريخية ، عبر تطور لحظتها التاريخية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الأحكام الثابتة لتي تحفظ أصول الدين أبانها الشارع الحكيم لتحفظ شكل الحياة السليمة، و التي نظمن استمراريتها ،و التي لا يكن أن تكون تاريخية ترتبط بحدث معين لا تتجاوزه ،إن التأويل بما يقتضيه من التعرف علي سبب النزول هو في الأصل هو استنباط دلالات النص، و غاياته، و كشف علل نزوله، مما يساعد علي فهم الحكمة من التشريع ، ثم سحب هذا الحكم بتجدد الوقائع،و من ثم جاءت القاعدة التي يرفضها أركون

""تتعدد الأحكام بتعدد الأ قضية " أن المنطق و العقل السليم لا يستسيغ نصوصا تتبع الإنسان كل انس باختلاف ظروفه و بيئاته إن تكون له أحكاما خاصة به تذكره بالاسم.

يقول أركون"" ينبغي أن يستيقظ المسلمون إن يفتحوا عيونهم،إن يقرؤا القرآن بعيون جديدة إن يتموضعوا في عصره و بيئته لكي يفهموه علي حقيقته و عندئذ لا يعودون يسقطون عليه أفكار عصرهم و همومه و نظرياته و إيديولوجياته ، فالقرآن ليس كتابا في الفيزياء أو الكيمياء و لا في الاجتماع و الاقتصاد ،وهو لا يفرض نظاما اقتصاديا مجددا دون غيره ، و لا نظاما سياسيا هذه الأشياء متروكة للبشر لكي يحلوها طبقا لقوانين علم الاقتصاد و الاجتماع و السياسة(35) إنها دعوة صريحة لاعتبار القرآن تاريخي في لحظته لا يصلح لزمن غير الزمن الذي نعيشه فيلعب المنهج المنشود دوره في تصحيح التصورات الخاطئة للماضي الإسلامي الذي يدعى المثالية المفرطة في كل شيء قصد التأقلم مع المعطيات الحاضرة و البقاء على صلة بها ،كما يفرض هذا الطرح انطلاقا من إن آيات القرآن نزلت لأسبابها و بالتالي لا معني للتغني بصلاحيته للمكان و الزمان و هو يخاطب الإنسان أي إنسان ليتدبر شؤونه بنفسه، و ليست من حاجة ملحة في أن ينتظر الفرج من هذه الآيات حلولا لمشاكله اليومية الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية لا يقتصر التأويل بأسباب النزول قصر هذه الأحكام علي وقائع ثابتة كما فهم أركون، إنما المقصد رسم الخطوط الأصلية للتشريع الذي يسترشد بحالة الإنسان المتجددة،إن الشارع أصل لنظريات التشريع ،و ترك التفصيلات و المستجدات لعقل الإنسان و حاجته.

ولا يعني أن ارتباط النص بسبب النزول معناه انه مخصوص بهذه الواقعة لا يتعداها إلي غيرها ، و لا يمكن إسقاط الحكم علي وقائع مشابهة ،و لا حتي قياس الشاهد بالغائب ،إن القول بالتاريخية من طرف محمد أركون لا يعني أننا ننفي التاريخية كمبدأ ، فكثيرة هي نصوص القرآن و آياته المرتبطة بأسباب النزول، – و هذا ما سعي إليه المستشرقون في توظيفهم لأسباب النزول كي يجردوا النص القرآني من حجيته علي الناس– إن بعض النصوص فعلا كما قال أركون مرتبط بسبب النزول، و لم تعد له الآن أي أهمية فالآيات الخاصة بأحكام الرق نزلت لتعالج موضوعا بعينه، و لكن بغياب التعامل بهذا النظام الاجتماعي أصبحت الآن آيات تنتظر الواقع الذي ينسجم ووجوب التعامل بها، بينما قصر التفسير علي معرفة أسباب النزول يدخل الناس في دوامة من الأخطاء، وبالتالي فإنهم سيفهمون الآية بشكل خاطئ (35)

و عليه لا يجب ان ننساق وراء هذا البحث الخاص بدعاة التاريخية او النقد التاريخي للنص (36) الذي يبين بوضوح الثقافة الواسعة لهؤلاء المفكرين العرب، و تعدد مشاربهم الاستشراقية ، والتي تكشف أيضا تحكم الخلفيات الإيديولوجية الموجهة لنتائج أبحاثهم فنسجل ،بذلك أيضا ان الاستشراق يلتقي مع الحداثة و من ثم الأركونية ثورة علي المناهج و هي في الأساس ثورة علي النص و سلب هذا النص ميزة التعالي التي دعي إليها الاستشراق (37)قبل ذلك و كررها في غير وضوح أركون واعتبرها من الأشياء التي يجب ان نتناولها بالدراسة هو و من نهج نهجه من الحداثيين العرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الهوامش

1- أبو زيد نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي ،ط4، 1998 ،ص9

2- الجابري محمد عابد؛ التراث والحداثة، ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991 ، ص 252

3 محمد أركون، الفكر الأصولي و استحالة التأصيل، ترجمة هاشم صالح ،دار الساقي ،ط1 1999 ،ص13

4- فرانس ديبلوا ، في نقد المستشرقين –الاستشراق المنهج و الصورة – ،الفكر العربي المعاصر –العدد 32 السنة الخامسة 1983 ، ص 150

5- محمد أركون ، الفكر الإسلاميا نقد واجتهاد ،ـــــ ترجمة هاشم صالح،المؤسسة الوطنية للكتاب لافوميك 1993، ص86

6-محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني ،ترجمة هاشم صالح ،دار الطليعة للنشر، بيروت، ط2 2000 ،ص 49

7- محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ،ترجمة صالح . بيروت دار الطبيعـــة 2001 ص 23

محمد أركون ،الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد، مصدر سابق، ص 91 -92 8-

أركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، ترجمة هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي ،بيروت ، 1987 ،ص23 9

10- د عادل مصطفي ، فهم الفهم ، مدخل إلي الهرومنطيقا ، رؤيا للنشر و التوزيع 2007 ،ص 145

11- محمد أركون ، الفكر الإسلامي قراءة علمية ، مرجع السابق ،ص125

12 هانز جيورج غاديمر الحقيقة و المنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن كاظم و حاكم صالح ،دار أويا للنشر و التوزيع و التنمية لثقافية طرابلس ليبيا طبعة أولي ص " 271-277

13- فيلهايم دالتاي(1833-1911) يري انه علينا ان لا نذهب وراء الحياة الي عالم من الأفكار فوراء الحياة نفسها لا يمكن لتفكيرنا آن يمضي كما يراجع

DILTHEY critique de la raison historique ,paris 1992 P 35-36

14- اركون الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ،ترجمة هاشم ،صالح مركز الإنماء القومي ، بيـــروت و المركـــز الثقـــافي الغربي الدار البيضاء، ط 2 ص 29

15- محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1987) ص 116

16- محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية مرجع سابق ص 125

17- خليل أحمد خليل، الاستشراق مشكلة المعرفة أم مشكلة اعتراف بالآخر ،مجلة الفكر الغربي العدد 32 السنة 1983 ص 55

18- محمد أركون، الإسلام الأخلاق و السياسة ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ص 179

19- يراجع عادل مصطفي ، فهم الفهم مدخل إلي الهيرومنطيقا " دالتاي ""رؤيا للنشر و التوزيع 2007 ص 117

20 - محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، مرجع سابق ص 125

21 - يراجع قضايا في نقد العقل الديني محمد أركون -

22- محمد أركون تاريخية الفكر العربي الإسلامي ترجمة هاشم صالح مركز الإنماء القومي بيروت ط1 1986 ص145

23- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص مرجع سابق ص 104

24- فهمي جدعان ،نظرية التراث و دراسات عربية و إسلامية أخري، دار الشروق للنشر و التوزيع 1985 ص19-18

25-احمد بن ادريس الطعان ،العلمانيون و القرآن الكريم –تاريخية النص دار ابن حزم ، الرياض 2007، ص 543

26- هانز جيورج غاديمر الحقيقة و المنهج ،الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية ،ترجمة حسن كاظم علي حاكم صالح ،دار اويا للنشر و التوزيع و التنمية طرابلس ليبيا 2007 ص 144 - 145

27-خلف الله الفن القصصي في القرآن الكريم ينا للنشر بيروت الطبعة الرابعة 1999 ص 34

28- خلف الله الفن القصصي في القرآن الكريم ينا للنشر بيروت الطبعة الرابعة 1999 ص 35

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

29- يراجع التفاسير القرآنية في مصر في العصر الحديث لصاحبه جونسون ج ج حيث يستعرض اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر خصوصا ليبين إن المسلمين يرفضون أية محاولة لدراسة القرآن في ضوء الأفكار المدرسة التاريخية النقدية التي لا تعترف بالوهية الكتب المقدسة حيث تقابل بالرفض الشديد من قبل المسلمين

30- فرانز رونزنتال مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ترجمة أنيس فريحه ، بيروت، دار الثقافة ط3 1980 ص 27

31 ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الإستشراقي و أثرها في الدراسات الإسلامية دار المدار الإسلامي 2002 ص 162 -

32- حسن حنفي دراسات إسلامية درا التنوير ط 1982 ص 227/ 228

33- محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية ،مرجع سابق ص 127 .

34- محمد أركون :قضايا في نقد العقل الديني مرجع سابق ص 285-286 .

35- صبحي صالح ،مباحث في علوم القرآن ،دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة 1977 ص 130

36- يقصد به الدراسة التاريخية التي تربط االنص بلحظة نزوله مع صلاحيته لتلك الفترة فقط ،دون غيرها من الفترات و معالجته بمنهجية التاريخ التي تلغي القدسية وتفرض علي النص منطق زمنه .

37: علم دراسة الشرق أو منهج غربي يهتم بدراسة العلم و الثقافة العربية و الإسلامية و يستثمر هذه الإيديولوجية لهدم مبادئ الدين و مصادره قصد التأثير علي المعتقدات الاجتماعية وترسيخ الهيمنة السياسية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com